

صوت مصر

أم كلثوم والأغنية العربية والمجتمع المصري في القرن العشرين

تأليف: فيرجينيا دانييلسون
الناشر: جامعة شيكاغو - الولايات المتحدة

والمؤسسات التي صنفتها وسيطرت عليها أو وجهتها: مالية أو صناعية أو اعلامية أو ثقافية وفنية.. الخ.. الخ. تقول الكاتبة العربية الكبيرة ليلي أبولغد، في كلمة مآخوذة من تقنياتها للكتاب على غلافه: لقد ابتكرت فيرجينيا دانييلسون نوعاً علمياً جديداً: سيرة حياة موسيقية، تصبح أيضاً تاريخاً اجتماعياً لثقافة معبرة في مكان وعصر فريدين.. إنها (أي المؤلفة) إذ تدرس موسيقى أم كلثوم المتميزة، وارتباطها الواعي بقيم الأصالة المحلية، وسيطرتها المنظمة على شئون الأعمال والعلاقات الاجتماعية وموقعها الفريد وسط سياق سياسي مشحون.. فإن المؤلفة تكشف سر تحول مغنية موهوبة وقوية العزيمة إلى صوت شعب وأمة.. والكتاب - في الحقيقة - يعد نموذجاً متميزاً للدراسة الثقافية الاجتماعية.. ستكون لنا عودة تفصيلية إليه - بإذن الله - خلال الأسابيع القادمة.

من هذه الزاوية المتعددة الأضلاع والمنظورات، قدمت الباحثة الأستاذة الأمريكية فيرجينيا دانييلسون (مديرة كل من: أرشيف موسيقات العالم ومكتبة أبنام التذكارية في جامعة هارفارد - وعالمة موسيقى الشعوب) كتابها الفريد، الذي تنسج فيه أو تحيد اكتشاف ذلك النسيج الكثيف من خيوط كل من تاريخ المجتمع المصري - ثقافياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وسيرة حياة أم كلثوم وتحليلها للموسيقى المصرية، من زكريا أحمد والقصبجي والسنباطي إلى محمد الموجي وكمال الطويل ومحمد عبدالوهاب وبلغ حمدي، والشعر الذي غنته من أبي فراس الحمداني إلى أحمد شوقي وحافظ إلى ابراهيم ناجي وأحمد رامى وحسين السيد ومرسى جميل عزيز والرجال الذين احتمت بهم من الملوك والباشوات ورجال الأعمال والثوار والمشايخ والصحفيين والقبضيات،

لزمنا دام نحو أربعين سنة، وامتد عبر نزوة الحكم الملكي (من ٤٥ إلى ١٩٥٢) والمراحل الأولى من دولة يوليو (حتى ١٩٧٣) حين سكت صوت أم كلثوم بسبب المرض لم يكن الاستماع إلى أم كلثوم مجرد استماع إلى غناء جميل، إنما كان انغماساً كاملاً في كل من المكونات الرئيسية للثقافة العربية التقليدية (الدين والشعر والموسيقى واللغة بكل تجلياتها الفصحى والعامية) والثقافة العربية «المتطورة»، في أشكالها «الحديثة» ودلالاتها، وفي شبكة الاهتمامات والمشاكل والقضايا السياسية (الوطنية والقومية) والاجتماعية الفكرية والواقعية العملية، والمظاهر والسلوكيات، والعلاقات الاجتماعية بين الطبقات والفئات والأفراد والعلاقات بين أنواع وعصور من الثقافات عاشها المصريون والعرب خلال القرون العشرة الأخيرة على الأقل.